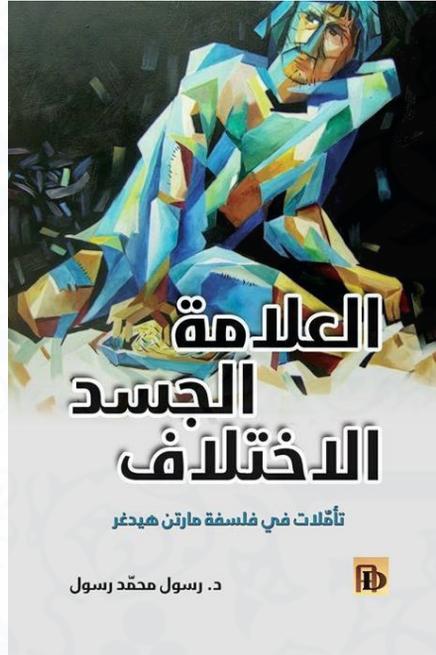


الكيونونة عند مارتن هيدغر بين الحضور والغياب

قراءة في كتاب

(العلامة.. الجسد.. الاختلاف - تأملات في فلسفة مارتن هيدغر)

للدكتور رسول محمد رسول



د. مازن أكثم سليمان

لكتاب هيدغر العمدة (الكيونونة والزمان) الصادر عام (٢٠١٢)، بعد مُعاشة الدكتور المسكيني لهذا العمل "أكثر من ست سنوات بقصد الترجمة، ونحو عقدين من الزمان بقصد القراءة والمراجعة والفهم والتأمل في خفايا متنه وخطابه بوصفه أحد فصوص الفكر الفلسفي الثمينة" (الصفحة ١١٤)، يُمثلُ انزياح الفكر الهيدغري عن فكر أستاذه هوسرل (١٨٥٩ - ١٩٣٨) أحد المنعطفات المؤسسة لمشروع هيدغر

يربط الدكتور رسول محمد رسول دوافع إنجازه لكتابه هذا (الصادر في طبعته الأولى عن دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع في بغداد ٢٠١٥) بتاريخ الاهتمام العربي المتصاعد، ولا سيما في العقدين الأخيرين بأعمال الفيلسوف الألماني مارتن هيدغر (١٨٨٩ - ١٩٧٦)، ويخصُّ ذلك الرِّبْط بتلك الجهود الكبيرة التي بذلها الدكتور فتحي المسكيني في هذا المضمار، والتي توجَّها بترجمته الاستثنائية

تحوّل ينتقل لإدراك العالم وموجوداته بما هو معيش، لا بما هو متصور؛ أي بالتحوّل من اللوغوس/التعريف العقلاني المنطقي بجذوره المُتمركزة على وحدة الذات المُتحمّمة بالعالم، والقادرة على تمثّل الموضوعات ومُطابقتها مع حقيقتها المُتعالية، وهو الأمر الذي يتمّ بإحضار تلك الموضوعات وإخضاعها للذات وفق رؤى ميتافيزيقا الحضور *The Metaphysics Of Presence*، إلى اللوغوس/البصري الذي يختبرُ علاقة التطابق في سياق ظاهري لأساليب الوجود المُكتشفة في العالم بطرائق متنوّعة، وهذا فحوى فهم هيدغر للظاهرة الوجودية بوصفها عالم تجليات الكينونة، والتي هي حسب توجّهاته تمثّل الـ (فينومان *Phanomen*)، والذي يعني لديه المُكتشف والمُتجلب والمرئي في ذات نفسه على أوجهٍ مُختلفة حسب نمط الولوج إليه في كلّ مرة (انظر الصفحتين ٣٨-٣٩)، لتكون "المهمّة المطلوبة هي انتزاع الحقيقة من الفينومات ليس بوصفها ماهية مُتوارية؛ إنّما الحقيقة بوصفها تجلياً، ذلك أنّ وجود الفينومان [أو الظاهرة] هو أكبر من أي مظهر جزئي له، ومهمّة الأنطولوجيا الفينومينولوجية هي أن تكشف لنا ما هو هذا الوجود" (الصفحة ٤٠)، وهكذا، يُعيد هيدغر النظر في الكينونة بوصفها مظهرًا أو ظاهرة عينية عبر تجذيرها في العالم؛ أي بما هي وجود مُكتشف، ذلك أنّ الكشف *Exhibition* ليس سوى ترك الموجودات توجد بأساليب وجود مُختلفة في مُنتفح العالم، أو بلفظٍ آخر في الانفتاح *Alethia*، وهذا الفهم كان من أهمّ ما بنى عليه هيدغر نقده لتاريخ الميتافيزيقا المديد في الفكر الفلسفي الغربي، والذي ظلّ سجينَ الثنائيات الميتافيزيقية، وفي مُقدّماتها ثنائية (الحضور الغياب)؛ فالأنطولوجيا الهيدغرية هي أنطولوجيا بشرية أو إنسانية في أغلب توجّهاتها، وهي أيضاً أنطولوجيا غير

الفلسفي، فـ "إذا كان إدموند هوسرل (...) قد ولجّ عالم العلامات عبر أبحاثه المنطقية ورواه في الفينومينولوجية الخاصة بالوعي، فإنّ مارتن هيدغر ولجّ العالم ذاته أو عالم العلامات عبر تأسيس نظرية أنطولوجية للوجود تتوسّل الفينومينولوجيا والهيرمينوطيقا منهجاً في النظر إلى العلامات ليس بعيداً عن (الرؤية العينية) التي ميّزت تفكير هيدغر الفلسفي، وكذلك عبر باقّة من المفاهيم والمصطلحات ذات السمة الأنطولوجية التي رصّها في مباحث وفصول كتابه (الكينونة والزمان) على نحو مُتتالٍ بارع" (الصفحات ١٤-١٥-١٦)، يكمن التحوّل الهيدغري الحاسم في انتقاله من قصدية الوعي *Intentionality Of Consciousness* عند هوسرل، إلى قصدية الوجود الإنساني *Intentionality Of Being*، مُجاوزاً بهذا الفينومينولوجية الهوسرلية التي انتهت إلى نمطٍ من المثالية المُتعالية فاخترلت الوجود داخل حدود قصدية الوعي نفسه، نحو أنطولوجيا تسعى لمُقاربة الوعي نفسه، إلى جانب فهم الوجود الإنساني، والموجودات، ضمن أبعاد ظواهر الوجود في عالم الخبرة المعيشة، فإذا "كانت فينومينولوجيا إدموند هوسرل تمضي إلى الداخل؛ تمضي نحو ماهيات الأشياء والظواهر وهي تمكث في الذهن والعقل والمخيال بوصفها ظواهر حتى تنطبع العلامات بطابع كلّ شيء" (الصفحة ٤٠)، فإنّ "فينومينولوجيا هيدغر تنصوبُ عكس ذلك؛ فهي تمضي إلى الخارج نحو الوجود أو الكينونة أو التوجّد في تجلياتها وتظاهراتها وتواجداتها بوصفها موجودات (...) في أفق الحياة المرئية" (الصفحة ٤٠)، إنّ بناء رؤية هيدغر للكينونة بين الحضور والغياب وهي تُعيد النظر في القصدية بوصفها اتجاهاً نحو موضوع ما، تأسست على تحوّل محوري في فهم (اللوغوس *Logos*) عبر تاريخ الفكر الغربي، وذلك بما هو

Being للدلالة عليه، وهو الأمر الذي أسس لمجاوزة ثنائية (الحضور _ الغياب) التقليدية عبر فهم الموجود من جهة وجوده في العالم بأساليب وكيفيات وجود مختلفة في كل مرة.

لكن: كيف يقوم هيدغر بتخريج هذه الصلة الجديدة المُعَايِرَة بين الوجود والموجود؟ أو بالأحرى: كيف يُوجَدُ الكائن كينونته في العالم بما هي انفتاح كاشف يبسط وجوداً كلياً في كل طريقة وجود جديدة؟ يقترح هيدغر أن ينهضَ (الدازين Dasein) بهذه الوظيفة الأنطولوجية، و"الدازين هو كينونة الهُناك، أو الهوذاك، أو الهوذا، أو الوجود _ هُناك، أو الوجود المتعِين، أو الوجود _ في_ العالم، أو الوجود المُتمثل في حالة الإنسان من زاوية وجوده، وطرق كينونته، أو (كينونة الإنسان) بوصفها أفق وجود" (الصفحات ٢٢-٢٣-٢٤). فلا كينونة إلا حيث يكون هناك دازين (انظر الصفحة ٢٤)، و"هذا مُؤسَّر واضح على تالزم بنوي وعُضوي بين الكينونة والدازين" (الصفحة ٢٥)، ذلك أن للدازين قيمة مُعَيَّنة تكمن في أنه يفهم ذاته على الدوام انطلاقاً من وجوده؛ ومن إمكان ذاته؛ أي أن يكون أو لا يكون ذاته، فهو الكائن الذي هو نحن أنفسنا في كل مرة (انظر الصفحة ٢٥)، وإمكانيات وجود الدازين الخاصة به إما أن يكون قد اختارها بنفسه، أو أنه قد وقع فيها، أو أنه قد نشأ عليها منذ أول أمره (انظر الصفحة ٢٦)، وبما أن التحليلية الأنطولوجية للدازين هي التي تشكّل الأنطولوجيا الأساسية، وأن الدازين يقوم مقام الكائن الذي ينبغي أن يُسأل عن كينونته من حيث الأصل (انظر الصفحة ٦٨)، لهذا فهو إلى جانب امتلاكه إمكانية أن يكون مع نفسه، يكون أيضاً مع غيره؛ أي إن كينونة الدازين هي كينونة _ في_ العالم، ووجود في قلب الحياة الإنسانية، ومُلاَقاة للآخرين، وانهماك بالعالم، وانشغال باحتمالاته (انظر الصفحتين ٢٨-

ميتافيزيقية؛ إما هي أنطولوجيا تحنفل وتحنفي بوجود الموجود والكائن في كل أشكاله المُمكنة حتى لو كان مُستتراً أو مُحْتَجِباً لضرورات أن يكون ويوجد تالياً" (الصفحتان ١٦-١٧)، ولإيضاح هذا المنحى، لأبْدُ أن نعي قول هيدغر بفكرة نسيان الوجود أو نسيان الكينونة في الميتافيزيقا الغربية، وذلك بوصفه نسياناً للاختلاف بين الوجود والموجود (انظر الصفحة ٧٤)، وتخطي هذا النسيان، بوصفه تخطياً للميتافيزيقا، يسمح للاختلاف والفرق الأنطولوجي بين الوجود والموجود، والكينونة والكائن، أن يتنفسا هواءً نظيفاً الأصل (انظر الصفحة ٧٥)، ولهذا "كان مسعى هيدغر في حياته بناء رؤية فلسفية تُعيد النظر في (الموجود) باعتباره (وجوداً)، بعد أن عرقت المعارف الميتافيزيقية المتوارثة منذ أفلاطون وأرسطو طاليس حتى زمان هيدغر وما بعده في بحر (الموجود) على حساب (الوجود) الذي طاله التغيب والهجران والنسيان القاسي" (الصفحة ١٧)؛ إذ لطالما انشغلت هذه الميتافيزيقا بالموجود **Existent** مُؤسَّسة فهمها للوجود **Existence** انطلاقاً من علاقة العلة والمعلول مع هذا الموجود، فانطلقت دائماً من ذلك الموجود لتفسير الوجود، وهو ما أدى إلى نسيان الاختلاف الأنطولوجي **Ontologic Difference** بوصفه اختلافاً بين الوجود والموجود، يتم التغاضي عنه بطي الوجود على مركزية الموجود؛ أي بالتحكم به بوصفه حقيقة تمثيلية مُطابِقة للموجود يتم إحافها به عبر ميتافيزيقا الحضور، غير أن هيدغر قد ميز بين الوجود، والشيء في الوجود؛ أي قال بالاختلاف بين الموجود بوصفه موجوداً إنسانياً فرداً مُستخدماً مصطلح (الوجود) في الدلالة عليه **Existence**، والموجود بوصفه وجوداً من جهة الكينونة؛ أي من جهة الوجود الكلي العام مُستخدماً مصطلح

أنه يُشخص (العالم) والأشياء بوصفهما كوناً واحداً من دون الفصل بينهما على طريقة الذاتي والموضوعي، فليس للعالم والأشياء حضوران مُفصلان؛ إنما يحضر كلُّ منهما عبر الآخر، وبه، وعبره تخللها هذا يقومان بتخليق وسط يتحدان فيه ائحاداً حميماً هو ائحاد الكينونة والوجود (انظر الصفحتين ٨٤_٨٥)؛ إذ إنَّ "الاختلاف يحمل (العالم) على اكتمال انبساطه بوصفه عالماً، ويحمل (الأشياء) على اكتمال تفحُّها بوصفها أشياء، وعبر ذلك يحمل (الاختلاف) واحدهما إلى حضور الآخر" (الصفحة ٨٥)، ولفهم معنى هذا (الاختلاف)، لأبْد من فهم (الكينونة) نفسها، وصلتها بالحضور والغياب، وهو الأمر الذي يتم عند هيدغر انطلاقاً من تجاوز منطق الثنائيات الثقابلية في الميتافيزيقا التقليدية عبر رؤية جديدة للكينونة تُوحّد بين الوجود والعدم في أساليب انبساط الدازين في عالمه؛ فهيدغر يتجاوز في الأنطولوجيا الأساسية مسألة (اللا) أو النقي، كاللاوجود واللاكينونة، حيث إنَّ الفرق بمعنى الاختلاف كامن في الوجود نفسه الذي يضم وجوده وعدمه في أن واحد، فلا يمكن الظفر بحضور الفرق أو الاختلاف بين الوجود والموجود إلا عبر قفز لوجودنا الخاص إلى الإمكانيات الأساسية للكينونة في كليتها (انظر الصفحتين ٧٣_٧٤)، وهنا يرى هيدغر أنَّ العدم هو الذي يسمح بتجلي الكائن بما هو (أي العدم) قاراً في الكينونة البشرية، وبما هو ليس مفهوماً مُضاداً للكائن؛ إنما بما هو ينتمي أصلاً إلى حدوث الكينونة، ويحدث في كينونة الكائن نفسه (انظر الصفحة ٧٣)، وهذا الحدث للعدم عبر حضور الكينونة يتم بوصفه استجابة الكائن لنداء هذه الكينونة (انظر الصفحة ٨٤)، وهذا النداء بما هو استدعاء لحضور الدازين الذي تحضر عبره الكينونة، لا يعني حضوراً تاماً، بقدر ما يعني احتفاظ الكينونة بغيابها في الوقت نفسه، ذلك أنه

٢٩)، وفي هذا الإطار، لا يفصل مفهوم (الدازين) عند هيدغر عن مفهوم (الجسم) و(الجسد)، فالعلاقة بين هذين الأخيرين مُرتبطة بحضور الدازين عبر فهمه للهنا الخاص به انطلاقاً من هُنالك التي داخل العالم المحيط، بحيث يكون انشغال الدازين بما هو وجود الموجود في العالم مُصلاً بنمط ما للكينونة في العالم (انظر الصفحة ١٠٤)، فهيدغر بهذا التوجّه قد دشّن قطيعة فلسفية عندما تجاوز ثنائيات الفكر الفلسفي القديمة التي ترى في الإنسان جسماً وروحاً، أو جسماً ونفساً تكاد تكون مُنفصلة برأسها، في حين نظر هو إلى كينونة الإنسان بوصفها وحدة واحدة (انظر الصفحة ٩٩)؛ أي "إنَّ السؤال حسب هيدغر يتعلّق بكينونة الإنسان في جملته (انظر الصفحة ٩٩)، و"كينونة الكلّ تُؤسس لكينونة الإنسان بوصفه وحدة واحدة في بنيته الجسمية والنفسية والروحية" (الصفحة ١٠٠)، وهنا يُفرّق هيدغر بين (الجسم) بوصفه عضواً حيوانياً لحمياً أو غضروفياً أو عظميةً أو مائياً، و(الجسد) في ماهيته بوصفه وجوداً (انظر الصفحة ١٠١)، مُتجاوزاً مفهوم (الجسم) لصالح الحديث عن جسدية كينونة الإنسان التي احتفى بها، لاعتقاده أنَّ الكائن الإنساني هو وحده الذي يمتلك عالماً (انظر الصفحتين ١٠١-١٠٢)، فـ "الجسد الهيدغري هو (جسد أنطولوجي) غير مُفصل عن كونه الذي له، وعن العالم الذي يُحيط به ويُوجد فيه" (الصفحة ١٠٩)، واحتفاء هيدغر بالدازين بوصفه وجوداً مُتحققاً أنطولوجياً أكثر من احتفائه بوجوده المُتجسّد مادياً (انظر الصفحة ١١٠)، لا يعني أنَّ "الجسم) الذي يتأمّله هيدغر ميتافيزيقي الوجود أو مُفارق الوجود، بل هو ذلك الذي يُوجد هُنالك، جسم مادي منظوراً إليه وفق أنطولوجيته التي له" (الصفحة ١١٠)، ما من شك أنَّ هيدغر يتجاوز عبر مفهوم (الدازين) ثنائية (الذات - الموضوع) بضرية واحدة فريدة إذا صحَّ التعبير، ذلك

"في اللداء، الذي يستدعي الشيء والعالم، ما هو مُنادَى بالفعل، وهذا (المُنادَى) هو (الاختلاف)" (الصفحة ٨٦) ، وهكذا، يرى هيدغر أنّ الوجود ليس "كينونة جاهزة أو ماثلة أمامنا، وإن كان ذلك، كما أنه ليس عالماً مُنغلقاً عصي الإدراك والفهم، وإن كان يبدو كذلك أيضاً؛ فبمجرد فك أسر الوجود عن الجدران الميتافيزيقية المُفارقة يُصبح مُمكنًا التعامل مع الوجود بوصفه كينونة تتجلى عبر مراتب وطبقات مُتعدّدة" (الصفحتان ٢١-٢٢)، ويُمكن تفسير هذه الرؤية المُركّبة لعلاقة الحضور والغياب بين الكينونة والكائن عبر فهم توسّل هيدغر الطريق إلى الموجود بوصفه وجوداً (أساليب وجود في العالم) عبر الكينونة المُتوارية في رقادها الطويل، والتي لم تستفّق منه بعدُ لكي تنظرَ إلينا، ونتعرّف نحن إليها في تجلياتها. ولكن، وعلى الرغم من رقاد الكينونة، فإنّ الكينونة لن تبقى مُحجوبة أبد الدهر؛ ذلك أنّ الموجودات التي تظهرُ أمامنا تُحقّق، ضمناً، ظهوراً ما للكينونة، ويحدث هذا الأمر في حياتنا اليومية التي نعيشها كلّ لحظة، ويضرب هيدغر مثالا على ذلك بظهور العُشب والخضرة في الحدائق والمزارع والحقول والغابات؛ فعندما ينبت العُشب الأخضر في الحقل، وتظهرُ الحقول خضراء، تتجلى قدرة الطبيعة وحيويتها عبر هذا الظهور، لكننا ننتزّه في الحقول الخضراء من دون أن تظهرَ لنا الطبيعة نفسها بوصفها طبيعة، وحتّى حينما نشعر بحُضور الطبيعة الحيّ، ندركُ هذا الشّعور في تصوّر أو حتّى في مفهوم يُحدّده، ليظلّ جوهر الطبيعة مُحجوباً من حيث هو كينونة. أمّا اختفاء الكينونة هذه فهو، في الوقت نفسه، الطّريقة التي بها تلتفتُ إلينا الكينونة نفسها أو تنتشرُ أمامنا في الموجود كالخضرة والعُشب (انظر الصفحتين ٣١-٣٢) ، وعلى هذا النحو، "يُضِيحُ التّلازمُ بين وجود الكينونة والكائنات التي تُجلى الكينونة وتُظهرها ماثلة في حُضور ما، فكلُّ مفعول إنّما يكون

(انبناؤه) في الكينونة، وينبعث (في أو إلى) الكائن؛ وهو تلازمٌ من شأنه تأصيل العلاقة بين الطرفين من دون أن يترك هيدغر أي مجال لسطوة أحدهما على الآخر في الظهور والتّجلي والحضور، حيث تُقع أو تثوي في كلّ كائن أو موجود أو شيء (كالعُشب والخضرة) كينونته القابلة للخارج (انظر الصفحة ٣٥)، ولذلك قال هيدغر ينبغي البَحْث عن كَلِيَّة الكينونة فيما وراء جنس الكائن؛ فالكينونة، وبنية الكينونة، تقعان ما وراء كلّ كائن (انظر الصفحتان ٣٥-٣٦)؛ وكينونة العُشب تكمن وراء العُشب بوصفه كائناً، وكينونة الخضرة تكمن وراء ما هو أخضر اللون بوصفه كائناً (انظر الصفحة ٣٦) ، ويبدو أنّ هذا الفهم المُركّب قد دَفَع هيدغر كي يؤكد وهو يُعيد اكتشاف الكينونة وقراءتها على نحو مُغاير؛ أي بوصفها حقيقة مُتوارية لكُنها مُندسّة على نحو تلقائي في كلّ ما يُحيط بنا، حتّى لو كانت مُحجوبة عنّا. أنّ هذه الكينونة لا تُستنبط من جهة التّصوّرات العُلّيا، ولا تُستعرض من جهة التّصوّرات الدُّنيا؛ إنّما ينبغي النّظر إلى ماهية الكينونة بوصفها تصوّراً مفهوماً بنفسه (انظر الصفحة ٣٤). فالكينونة مُفترضة سلفاً في كلّ أنطولوجيا، وهي أوسع مدى من أيّ كائن، إذ ليست كينونة الكائن بحدّ ذاتها كائناً، وهي المسألة التي تعني أنّ خضرة عُشب الحقل هي كائنات وموجودات وأشياء تُخفي كينوناتها، لكنّ كينوناتها تلك ليست في ذاتها هي الكائنات أو الأشياء أو الموجودات، وهذا لا يتناقض مع توجّه هيدغر القائل بأنّ الكائن يُمكن أن يتعيّن في كينونته، بمعنى أنّ كينونة خضرة الحقل مثلاً يُمكن أن تُعيّن من جانب الطبيعة في الحقل، ولا سيما أنّ الكينونة هي في كلّ مرّة انفتاح كينونة كائن ما (انظر الصفحة ٣٥) ، لهذا لا تكون الكينونة ذات ماهية مُسبّقة ثابتة خلف الوجود أو الموجود على طريقة أفلاطون وديكارت وبقية المثاليين، لكونها تنبسط

أطولوجياً عبرَ افتتاح فضاءاتها على نحو تواصلِيٍّ، وتكوُنُ بعضُها بعضاً من باب الخروج والانكشاف والتَّجَلِّي (انظر الصفحة ٥٣)، وبمعنى أوضح، تظهرُ الكينونة في كلِّ مرّةٍ في أساليب أو كَيْفِيَّاتٍ وجود جديدة تنطوي على إمكانيات حُضور وكشفٍ بما هي إمكانيات تبسط وسيطاً علاماتيّاً حسبَ هيدغر، وهو وسيطٌ غير مباشرٍ، أو هوَ توسُّطٌ (انظر الصفحتين ٤٢-٤٣)؛ فمثلاً "ما يعتمِلُ داخلَ الجسم من خلل بيولوجي يتوسَّلُ بما له من إمكانيّة كشف غير المكشوف، فغير المكشوف، أو غير المُكشِف، هوَ حالة مُتوارية عن الأنظار، ثاوية وقابعة في داخل ما، حالة غير قادرة على الانكشاف بنفسها، وفي نفسها، فتنوسَّلُ بعلامة تُظهرها، وتُحقِّقُ ظهورها، أو بعض ظهورها. إنَّه نظام استعاضِي واستعاني من الظهور حتَّى لتبدو العلاماتُ أو الشيء الوسيط-العلامة- الذي من شأنه الانكشاف لتوصيل ما يُريدُ إشهاره والإنباء عنه عند الألم أو العطل البيولوجي أو الحيّوي الثاوي في الدّاخل؛ أي: ذلك الدّاخل الذي يرومُ الانكشاف عبر وسيط علاماتي أو عبرَ توجُّدٍ علاماتي" (الصفحة ٤٣)، إنَّ كلَّ علامة تمتلكُ في داخلها مُحيلاً يُنبئُ عن حالة خاصّة به، وبذلك فهوَ مرسل لإيصال رسالة يُريدُ أن يتوجَّدَ بها (انظر الصفحة ٤٣)، "وهذا المُحيل، إذا ما أنبأ بذاته، وعلى نحو مُكشِفٍ أو غير مُحجوب بذاته، فإنَّه سيكونُ فينوماناً أصليّاً يُعبّرُ عن كينونته ورسالته الأصليّة في الظهور التام والحُضور الشامل إذا رامَ ذلك أصالة؛ أمّا إذا لم ينكشف بنفسه، فعندها سيلجأ عبرَ التوجُّدِ العلاماتي إلى علامات؛ علامات تُعبّرُ عن كينونته ورسالته وطموحه في التوجُّدِ والحُضور، وهو تعبير لا يملكُ من الأصالة سوى وجهاً من وجوها؛ فالقمر وهو هلال ليس هوَ كلُّ القمر، ما يعني أنَّ المُحيل لغيره القمرُ له إمكانيّة الانكشاف سواء أكان ذلك على نحو أصيل، أو غير

أصيل، وانتفاء الأصالة في أيِّ انكشاف لا يعني انتفاء الحاجة إلى الوسيط العلاماتي أو العلامات" (الصفحتان ٤٣-٤٤)، لعلَّ فهم هيدغر لـ (اللّوغوس) من أهمِّ الأسُس الجديدة التي بنى عليها رؤيته المُغايرة لمسألة الكينونة بين الحُضور والغياب؛ فهوَ يبتعدُ في نقاشه لمفهوم اللّوغوس "عن فهمه في ضوء فكرة المُطابَقة بين الحقيقي وغير الحقيقي، أو بين الصّادق والكاذب، (...). ويقتربُ من فهمه الخاصّ به في ضوء ثنائيّة الانحجاب والانكشاف، وهي جدليّة وإن كان هيدغر لا يُحبُّ هذه المُفردة تتطلّبُ المزيد من حالات التّراني، والمُظهِر، والإبصار، والسَّمْع، وكلّها تجليات للعنصر الفيزيائي كما نراه ونحسُّ به في العالم الخارجيّ التي تدهمنا كينونتهُ مُحجوبة مرّةً ومُتَنكِّرةً مرّةً أخرى في ظهورها، والإيضاح لا يُعالجُ إلّا "ضمن إبانة وإشارة" (الصفحة ٤٤)، وبهذا الشكل، يستنبط هيدغر الفروق بين الحُضور والغياب عبر سببه للفروق بين "الذي ينكشفُ واللّا مُكشِف، ويجعلُ من (المظاهر المرصّية) التي تعرض لكانن ما، وليكن الإنسان الذي تظهرُ عليه تورّمات في جسده، تلك المظاهر العليّة تنكشفُ لنا مرثياً بوصفها علامات دالة على مُتغيّرٍ جسديٍّ ما، مُتغيّرٍ مُضمرٍ ألا وهوَ تلك الاضطرابات البيولوجيّة القارّة في داخل الجسم التي تظهرُ بوصفها علاماتٍ في سطح الجسد من دون أن تكون مُكشِفة بذاتها" (الصفحة ٤٢). ولذلك يعتقد هيدغر أنّ المُظهِر الذي هوَ مُظهِرٌ عن شيء ما، لا يدلُّ على أنّ شيئاً قد انكشفَ بذاته؛ إنّما هوَ يُنبئُ بشيء ما، لا ينكشفُ أو لا يكشفُ عن نفسه، عبر شيء ما من شأنه أن ينكشفُ أو يكشفُ عن نفسه، ذلك أنّ المُظهِرَ هوَ ضَرْبٌ من اللّا انكشاف، أو هو انكشافٌ منقوص (انظر الصفحة ٤٢)، لقد حرص هيدغر على الإبقاء على العلامات بوصفها كينونة فلسفيّة، وليست مجرد كينونة لغويّة أو حتّى ذهنيّة سايحة

(الكيونة تحت- اليد) يتجاوز هيدغر فكرة (التحديق) في ما هو تحت اليد من أدوات مُنشِغَة بها اليد إلى (الإحاطة أو الثبُور)، فكيونة (ما تحت اليد) لا تنكشف بمجرد التحديق المُباشِر في جسميَّة أدوات ما تحت اليد أو حتَّى في حركتها ونشاطها؛ إمَّا عبر نمط معرفة هو نمط الإبصار الخاص به الذي يُزوِّدها بالثقة النوعيَّة التي لها، ويجعل كيونة ما تحت اليد أصيلة في حضورها تبعاً للممارسة التي تجعلنا نُلَاقِي (كيونة-ما تحت-اليد) على نحو أصيلٍ وحقيقيٍّ وفقِّ إحالات مُتبادلة من التلاقي المُبصر بين الإنسان والأداة (انظر الصفحة ٥٠)، ومن المُهم في هذا السِّياق أن نعي أنَّ (الأداة) بحدِّ ذاتها لا يُمكن أن تكون (علامة)، لكنَّ (العلامة) تُشارك الأداة في أدائيتها، فالمطرقة مثلاً لا يُمكن أن تكون علامة؛ ذلك أن العلامة بوصفها أداة لا تُصيحُ علامة ذات قيمة إلَّا عندما تتحوَّل أدائها إلى وظيفة إشارة (انظر الصفحة ٥٧) كما ذكرنا من قبل. وهذا التحوُّل يتأتَّى عن طريق العمل تحديداً (انظر الصفحة ٥٠)، حيث يبدأ رفع الحجاب عن الغائب، وإحضاره إلى الوجود عبر "بنية الإحالات؛ فإنتاج الحذاء غايته الانتعال، انتعال الحذاء، وتلك علاقة إحالة، وإنتاج الساعة غايته قراءة الوقت، وتلك علاقة إحالة، ففي العمل والإنتاج تتجسَّد الإحالة في الوقت نفسه إلى المواد الموجودة في العالم المُحيط بنا في قيمومتها المحضة التي لها بذاتها؛ المواد التي يُرفع عنها الحجاب عبر إبصار وفهم وإدراك كيونتها بالخروج التدرجي (لكيونتها)، وعبر نفاذ مُبصرٍ لإحالات مُتتوِّعة، فعندما نستخدم (ساعة اليد) لقراءة الوقت، تكون طبيعة العالم المُحيط هي أيضاً تحت- اليد، ويجري ذلك في تعاضدٍ ضمنيٍّ" (الصفحتان ٥٠-٥١).

إنَّ مُجاورة هيدغر لفهم (العالم) بمَعناه المُعتاد بوصفه مُجرَّد الوجود الطبيعيّ

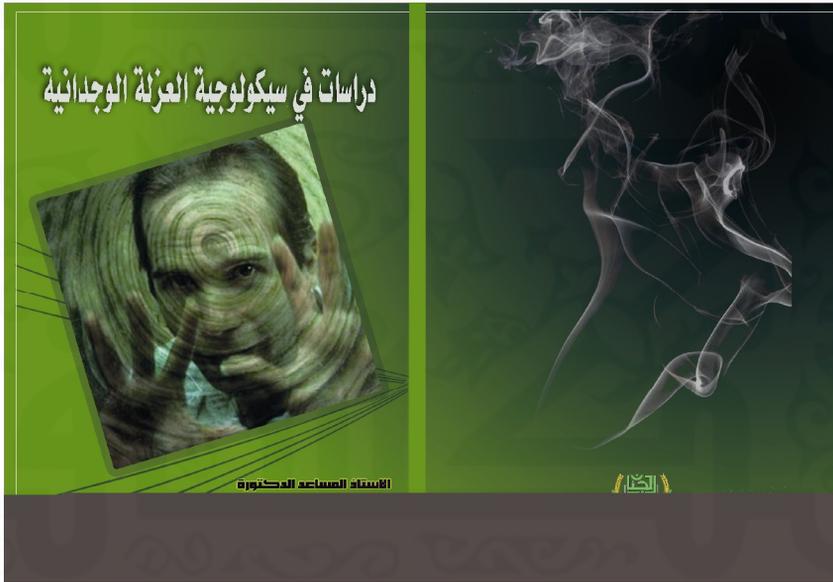
في فضاء الذات البشريَّة من دون بناء وجوديٍّ (انظر الصفحة ٦٨)، فكيونة الكائنات في انكشافها أو اختفائها، أو في تجليها وتواربها مُرتبط عُضويًّا بكيونتها في العالم، وبوجود الكائن داخل العالم (انظر الصفحة ٤٥)، وهذه (العلامة - الكيونة) المطبوعة بطابع الظهور الأنطولوجي ليست قِليَّة الهويَّة، إمَّا بعديَّة عبر توجُّدها الذي لا يتضمَّن أيَّ تكريس ماهوي مُسبق (انظر الصفحة ٦٦)، ولذلك عرف هيدغر "العلامة بأداة إشاريَّة. ويُمكن القول عن الإشارة إنَّها الطابع الأداة للعلامة، وأنَّ فعل الإشارة، وهي تظهر، يُمارس نمطاً من الإحالة؛ فارتداء الثوب الأسود اللون هو علامة على الحزن لوفاة شخص ما نحبه ونشعرُ بافتقاده عندما رحل، وقد يكون في ارتداء الثوب الأسود اللون تضمينٌ دلاليٍّ للموضة أو الإثارة إذا ما كان مُسجماً مع بشرة مُستخدمه" (الصفحة ٥٦)، لكنَّ ظهور الطابع الأداة للعلامة لا يتحقق إلَّا عبر فكرة (التلاقي) المُرتبطة بفكرة (الانشغال)؛ ذلك أن كِلتاهما تُشيرُ إلى حالة الفعل المُلاقي، أو الفعل المُنشِغ، فلكي نفتح باباً ما، لأبْد من أن نمسك مقبضه، ومسك مقبض الباب هو انشغال وتلاقٍ بين عُصرِي حالة. ويُسمي هيدغر الكائن الذي يُلَاقينا عند الانشغال به (الأداة)؛ فعندما تكون الكتابة انشغالياً يكون القلم أداتها، والمخيط أداة الخياطة... الخ. غير أن هيدغر يَنقُل من الأداة نحو فكرة (الأداة) بوصفها نمط كيونة في عالم الانشغال والمُلاقاة والتلاقي، فهو يُريد وصِف نمط كيونة الأشياء التي تُستعمل من قِبلنا بما نحن كائنات يوميَّة داخل حقل انشغال عينيٍّ هو نفسه نمط من الفهم لمعنى الكيونة في العالم" (انظر الصفحتين ٤٧-٤٨)، وهذا النمط من فهم (الأداة) عبر مُلاقاتها والانشغال بها بوصفه فهماً لمعنى الكيونة في العالم يدفع هيدغر كي يُسمي "جنس كيونة الأداة ب (الكيونة - تحت- اليد)" (الصفحة ٤٩)؛ ففي عالم

شكَّ أن هيدغر قد قدَّم جُملةً من الرُّوى المُبتكرة التي منحتهُ جِدتهُ في فهم الكينونة بوصفه فهماً يتجاوزُ عبره النُّظرة إلى ثنائِيَّة (الحُضور - الغياب) نظرةً تقليديَّةً تقابليَّةً ميتافيزيقيَّةً، وهو الأمرُ الذي تحقَّق بُولوج هيدغر إلى عالم الكينونة عبر تجلِّياتها الأنطولوجيَّة التَّداوليَّة وفق مداخل ثلاثة هي: المدخل الأنطولوجي، والمدخل الفينومينولوجي، والمدخل الهيرمينوطيقي (انظر الصفحة ١٩)، وهذه مسألةٌ متراكبةٌ وغنيَّةٌ وتحتاجُ باعتقادي إلى مزيدٍ من البَحْث والتَّوسُّع والتَّقصيُّ في قراءاتٍ قادمةٍ أطمحُ -ربَّما- إلى الخوض فيها في قادم الأيَّام.

دمشق في خَريَّان ٢٠١٦.

المنظور على نحوٍ مُباشِر، أو بمعناه الأنطقيّ الخاصَّ بالموجودات العينيَّة ذات الحُضور القائم أماناً في العالم على طريقة (ما-ينتمي-إلى العالم)، أو على طريقة (ما-هو-داخل-العالم)، وفهمه بوصفه (طريقة كينونة يوميَّة من شأن الدازين)، وذلك بالاعتمادِ الظواهرِيَّ على هذه الطريقة؛ يعني أنَّه ينبغي لشيءٍ ما من قبيل العالم أن يتأثَّرَ للبصرِ بطريق تَأويلٍ أنطولوجيٍّ للكائن المُلاقي داخلَ العالم المُحيط؛ أي بطريق التَّعاملِ داخلَ العالم ومع الكائن الذي داخلَ العالم بما هو انشغالٌ بوازع السُّؤال الفينومينولوجيِّ المُنبَبِّ على كينونة كائنٍ يُلاقينا كلَّ مرَّةٍ ضمَّن انشغال (ما (انظر الصفحات ٤٥-٤٦-٤٧) ، ما من

دراسات في سيكولوجية العزلة الوجدانية



تأليف: ا. م. د. إيمان محمد الطائفي

مراجعة: ا. د. محمد السيد عبد الرحمن

التربوي... الخ. إنه موضوع العزلة الوجدانية، التي تأخر الاهتمام بها كثيراً في مجال الدراسات النفسية، هذا على الرغم

يتناول هذا الكتاب موضوعاً يقع في دائرة اهتمام تخصصات عديدة، مثل علم النفس، الإرشاد النفسي، الصحة النفسية، التوجيه

فيها، فكل نظرية تطرح تفسيرها من منظورها الخاص، وعلى الرغم من أن العوامل المؤثرة في الحياة النفسية للفرد كثيرة، ولا يمكن حصرها، ولكل واحدة منها متفردة أو متفاعلة مع غيرها من العوامل أن تحدث أثراً في وجدانات الفرد، ومن ثم مناقشة وتفسير مفهوم العزلة الوجدانية في ضوء آراء المنظرين ، اما الدراسة السادسة، تتضمن عشرين بحثاً ميدانياً ، حول مفهوم العزلة الوجدانية:

البحث الأول، استهدف العزلة الوجدانية كاستراتيجية تحمل لدى الأفراد ذوي الحياة المنخفضة والعالية بدرجة إجهادها ، البحث الثاني، تقويم الاختلافات الثقافية، وعلاقتها العزلة الوجدانية ، **البحث الثالث** استهدف معرفة الشعور بالعزلة الوجدانية لدى المراهقين ، **البحث الرابع** التعرف على العزلة الوجدانية للمحاربين القدماء في حرب فيتنام، **البحث الخامس**، مشكلات الأطفال الناتجة عن الرفض المستمر في مرحلة المدرسة الابتدائية ، **البحث السادس** استهدف أهمية العزلة الوجدانية والاجتماعية للوحدة بين الريفيين من كبار السن ، **البحث السابع**، معرفة العزلة من ثلاثة منطلقات، (العزلة الوجدانية، العزلة الاجتماعية، العزلة الثقافية).

-البحث الثامن، استهدف الشعور بالعزلة الوجدانية لدى المراهقين الإنكلو أمريكيين والمكسيكيين الأمريكيين.

-البحث التاسع، دراسة العزلة واللعب الانفرادي وعلاقته بقلة الكلام والهدهد السلبي لدى الأطفال.

-البحث العاشر، بناء مقياس ذاتي لنوعية الحياة.

-البحث الحادي عشر، يتناول بيئة المدرسة الريفية وأثرها على شعور المراهقين بالعزلة الوجدانية.

من أهميتها كظاهرة تستحق البحث والدراسة، وإلى جهد غير عادي لكي يتم تشخيصها؛ إذ أنها حالة شعورية داخلية يصعب ملاحظتها من قبل الآخرين هذا الكتاب هو محاولة متواضعة لسد النقص الحاصل في هذا المجال، قد يكون منطلقاً أساسياً لكثير من البحوث والدراسات اللاحقة حول موضوع العزلة الوجدانية.

عندما نتحدث عن العزلة الوجدانية فإن ذلك يشمل أفراداً عاديين، يظهر لديهم هذه المشاعر في فترة من فترات حياتهم، نظراً للظروف البيئية المحيطة بهم، وطبيعة العلاقات التي تربطهم مع الآخرين، إلا أن ذلك لا يعني أنهم مضطربون وجدانياً.

إن عدم التناغم الوجداني بين الأفراد ينجم عنه التحرك بعيداً عن الآخرين، وإنه يتجنب الصراع، فتصبح العزلة الوجدانية أسلوباً لمعالجة المواقف المؤلمة، وهي محاولة يبذلها الفرد لإعادة اتزان النفس، وتحدث فجأة كاستجابة من جانب الفرد كحرامن مفاجئ يطرأ في حياته من أفراد آخرين يعتبرهم ذوي أهمية لديه.

يشتمل الكتاب الذي بين أيدينا على سبع دراسات: تناولت الدراسة الأولى مفهوم الانفعالات وتشريح النوبات الانفعالية وما بعد الانفعالات والاستنباط السايكولوجي والتوازن الانفعالي وعلاقة الانفعالات والصحة النفسية وتعرض الدراسة الثانية مفهوم الوجدانات السالبة ومكوناتها وآثارها ، وجاء في الدراسة الثالثة نظرة تاريخية لمفهوم العزلة، وتعريف مصطلح العزلة الوجدانية، وأبعادها ، وتقدم الدراسة الرابعة مفاهيم متعلقة بالعزلة الوجدانية، ومسببات هذه الظاهرة وتأثير العلاقات الحميمة عليها ، وتطرقت الدراسة الخامسة لشرح مطول حول الإطار النظري لاختلاف النظريات النفسية والانفعالية حول ماهية هذه الظاهرة، وأثر المتغيرات

-البحث السابع عشر، يتركز على الأثر التربوي للبريد الإلكتروني على سلوك العزلة للطلبة.

-البحث الثامن عشر، يهدف إلى التعرف على العزلة الوجدانية والإدمان على المخدرات بين المراهقين البيض والمكسيكيين الأمريكيين.

-البحث التاسع عشر، تناول أثر العزلة الوجدانية على الصحة لدى البالغين.

-البحث العشرون، ركز على الاستراتيجيات المختلفة المستعملة من قبل الأفراد الذين نجحوا في تحمل العزلة الوجدانية، كما تطرق البحث الأخير إلى العزلة الوجدانية لدى المرشدين التربويين، وعلاقته بتصوراتهم المستقبلية نحو مهنة الإرشاد.

-البحث الثاني عشر، تناول فك الترابطات الداخلية ما بين اليأس، والشعور بالعزلة الوجدانية، والتفكير الانتحاري.

-البحث الثالث عشر، استهدف بناء برنامج والدي إيجابي نحو إستراتيجية دعم والدي وعائلي صادقة تجريبياً ومتعددة المستويات لمنع الشعور بالعزلة الوجدانية.

-البحث الرابع عشر، تناول الخجل والشعور بالعزلة الوجدانية لدى الأطفال.

-البحث الخامس عشر تطرق إلى التعلم الاجتماعي والانفعالي في سياق العمل لتعزيز الصحة وتقليل الشعور بالعزلة الوجدانية لدى الأطفال والشباب.

-البحث السادس عشر، عن المجتمع والاهتمام والسمو بتطوير الروحية لتحسين التعلم كوسائل مضادة للاغتراب والعزلة الوجدانية.

نوعية حياة السكان : دراسة في الديموجغرافي (السكان الشباب في العراق إنموذجاً للدراسة)



للاستاذ الدكتور عباس فاضل السعدي والديموجرافية، وضم ثانيها مستويات نوعية حياة السكان، وتضمن ثالثها السكان

ضم الكتاب ثلاثة فصول تناول أولها نوعية حياة السكان في الدراسات الجغرافية

تباين واضح بين المحافظات العراقية وما وصلت إليه من إنجازات للوصول إلى الأهداف الإنمائية المذكورة. وأتبع المنهج الوصفي-التحليلي بالاستعانة ببعض المعادلات والمقاييس الاحصائية وبعتماد التحليل الديموجغرافي القائم على الجمع بين البيانات الديموغرافية والمعلومات الجغرافية وتحليلها مكانياً للكشف عن العلاقات والتفاوتات للظاهرة المدروسة بين محافظة واخرى ، والكتاب فيه تجديد في عنوانه ومضمونه باختصاص جغرافية السكان على المستويين العراقي والعربي. وإقترحت تسجيل رسالة بهذا المضمون الذي تضمنه الكتاب وتمت فعلاً في جامعة بغداد لاحد الطلبة ومشرفها من طلبتي، ولا وجود لغيرها بالمضمون الذي جاء به الكتاب.

الشباب وكبار السن في العراق إنموذجاً للدراسة. وللتوصل الى نوعية هؤلاء السكان والمستوى الذي بلغوه أتبعنا عدة مؤشرات للقياس من بينها : العمر المتوقع للفرد، مستواه الصحي والاقتصادي وسلامة البيئة التي يعيش فيها (السكن الآمن)، فضلاً عن المؤشرات الديموغرافية مثل معدل وفيات الاطفال الرضع والامهات. مضافاً إليها شمولية التعليم وتمكين المرأة ومدى تمتعها بحقوقها الطبيعية ومقدار مساواتها بالرجل في مختلف المجالات كالتعليم والمشاركة السياسية ، ومن خلال هذه المؤشرات أمكن معرفة التقدم المحرز في إنجاز المؤشرات الألفية للتنمية التي وضعها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لغاية عام ٢٠١٥ ومنها أمكن معرفة (نوعية حياة السكان) في العراق ، وتمثلت فرضية البحث بوجود